ملخص المحاضرة الرابعة والخامسة

المحاضرة الرابعة: منهج الجدل عند هيجل

يعدّ الجدل مناهج البحث الفلسفي المتبع منذ القدم، وهو يشير إلى الحوار بين شخصين أو أكثر لديهم وجهات نظر مختلفة حول موضوع معين ولكنهم يرغبون في إثبات الحقيقة من خلال الحجة المنطقية. وقد انتشر هذا المصطلح من خلال حوارات أفلاطون السقراطية، لكن الفعل نفسه كان محوريًا في الفلسفة الأوروبية والهندية والمصرية منذ العصور القديمة. ولأهمية الجدل وتأثيره في الفلسفة الأفريقية الحديثة والمعاصرة، تتطرق الدراسة إلى تعريف الجدل في اللغة كمصطلح ومفهوم ثم تعريف الجدل فلسفياً، ثم عرض موجز لتاريخ تطور الجدل في الفلسفة وقوفاً على ما يعنيه جدل السيد والعبد عند هيجل وأثره في الفلسفة الأفريقية الحديثة والمعاصرة.

يعرف هيجل المنهج في فلسفة الحق؛ بأنه الفكرة الشاملة التي تنمو بفضل نشاطها الخالص وقد عرض في المنطق، والمبدأ المحرك لهذا النمو هو الجدل؛ فالمنهج هو الفكر الخالص الذي يتحرك بفضل ما يكمن في جوفه من جدل، والمنطق هو العرض المنظم لهذا المنهج، المنطق إذن هو المنهج الجدلي

الجدل الهيجلي ببساطة هو علم الحركة في الواقع الخارجي والنفس الإنسانية. يعرف هيجل الجدل بأنه "مبدأ كل حياة وكل حركة وكل ما يتم في عالم الواقع، بل إنه أيضاً روح كل معرفة تكون حقاً علمية". "الجدل عند هيجل ليس حياة الفكر، بل هو يمثل حياة الطبيعة والمادة في كل درجات تعقدها. الجدل عند هيجل ليس المنطق وحده، ليس هو التلخيص بأنه رحلة ثلاثية المراحل: الأطروحة أو القضية ونقيضها والمركب منهما، الجدل لا يقتصر على المنطق فقط، بل في كل المجالات ولكن لكل مجال طبيعته الخاصة. يطبق هيجل هذا المنهج الجدلي على شتى ظواهر الطبيعة والتاريخ والفلسفة، والحضارة، والفن والدين. حاول هيجل بواسطة المنهج الجدلي أن يربط عالم الطبيعة بعالم الحياة، وعالم الحياة بعالم الروح، وعالم الروح بالله نفسه. إذن، الجدل عنده تعبير عن الفكرة ونقيضها على نحو يدفعها إلى التطور والرقى حتى نصل إلى الفكرة المطلقة، وهي العقل الكلى الذي يحكم التاريخ. إن العقل الكلى روح، والروح هو العنصر الأساسي في التصور الفلسفي للتاريخ

جدل الروح؛ إن التاريخ عند هيجل هو عرض للروح، وماهية الروح الحرية، ومن ثم كان مسار التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية. وتاريخ العالم إنما هو مسار تكافح فيه الروح كي تصل إلى وعي بذاتها كي تكون حرة. وعن جدل الدين؛ وينظر هيجل إلى الدين بوصفه من أهم مقومات الحضارة، ويؤكد أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين. يعتقد هيجل أن هناك جدلاً وتطورا للدين، حدث في خلال

التاريخ، وأن الصور المختلفة التي اتخذها الدين، في خلال تاريخه، إنما هي تعبر عن تدرج الروح في الكشف عن ذاته ولذاته

جوهر الجدل عند هيجل يتجلى في أن الفكرة تفضي إلى نقيضها، ولكن هذا النفي قوة دافقة ... لذلك، فالجدل ليس حياة الفكر، بل هو يمثل حياة الطبيعة، وحياة المادة في كل درجات تعقدها. طبق هيجل هذا المنهج الجدلي على كل فروع الفلسفة، والتاريخ، ومقولة "العقل يحكم التاريخ" تلخص هذا الفكر. بالجدل تكمن القدرة البشرية على فهم الواقع والتحكم في المصير وتوجيه حركة التاريخ. يتميز العقل الهيجلي بأنه ليس عقلاً مفارقًا، بل هو عقل مباطن في الوجود التاريخي، ويكتمل به

جدل السيد والعبد

كل شخص يحتاج إلى الآخر ليُثبِت وعيه بذاته. فما الذي يحتاجه كل شخص من الآخر بالتحديد؟ يقول هيجل إنه يحتاج إلى الإقرار أو الاعتراف به. إن الحاجة للاعتراف متبادَلة. إذن قد يتصور المرء أن الناس يمكنهم الاعتراف بعضهم ببعض بسلام وينتهي الأمر. بدلًا من ذلك، يخبرنا هيجل أن الوعي الذاتي يسعى ليصبح خالصًا، وليحقق هذا المسعى يجب عليه إثبات أنه غير متعلق بأشياء مادية. وفي الحقيقة، يتعلق الوعي الذاتي بالأشياء المادية على نحو مزدوج؛ فهو متعلق بجسده الحي وبالجسد الحي للشخص الآخر الذي يتطلب منه الإقرار بوجوده. إن طريقة إثبات أن الوعي الذاتي غير متعلق بأي من هذين الشيئين الماديين هي خوض صراع حياة أو موت ضد الشخص الآخر. فالسعي لقتل الآخر يثبت أنه لا يعتمد على جسد الآخر، ومخاطرة الشخص بحياته تثبت أنه غير متعلق بجسده الشخصي أيضًا. إذن تكون العلاقة الأولية بين الفردين ليست مجرد اعتراف متبادَل وسلمي، بل صراع. يبدو أن هيجل يخبرنا بأن الصراع العنيف ليس حدثًا عارضًا في العلاقات الإنسانية، بل هو عنصر ضروري في عملية إثبات المرء لذاته. وبالعودة إلى الصراع، كانت الفكرة الأصلية هي أن كل فرد كان عازمًا على قتل الآخر؛ ومع ذلك، فإن تأمل الفكرة للحظة يُظهر أن هذه النتيجة لا تناسب أي شخص؛ لا لشخص المهزوم الذي سيكون ميتًا، ولا المنتصر الذي سيكون قد دمَّر مصدر الاعتراف به الذي يحتاجه لتأكيد إحساسه بذاته بوصفه شخصًا. وهكذا يدرك الشخص المنتصر أن الشخص الآخر مهم لوجوده؛ ولذا يبقي على حياته، إلا أن المساواة الأصيلة بين شخصين مستقلين حل محلها وضع غير متساوٍ يكون فيه المنتصر مستقلا والخاسر تابعًا؛ يكون الأولُ السيدَ والثاني العبدَ. بهذه الطريقة يفسر هيجل الانقسام بين الحاكم والمحكوم

المادية الديالكتيكية:

هي نظرة الحزب الماركسي اللينيني للعالم، وهي تدعى مادية ديالكتيكية؛ لأن نهجها للظواهر الطبيعية، أو أسلوبها في دراسة هذه الظواهر وتفهمها ديالكتيكي، بينما تفسيرها للظواهر الطبيعية، أو فهمها لهذه الظواهر، أو نظريتها مادية. المادية التاريخية هي امتداد مبادئ المادية الديالكتيكية على دراسة الحياة الاجتماعية؛ تطبيق مبادئ المادية الديالكتيكية على ظواهر الحياة الاجتماعية وعلى دراسة المجتمع وتاريخه. لدى وصف ماركس وإنجلز أسلوبهما الديالكتيكي، يشيران عادة إلى هيجل بصفته الفيلسوف الذي صاغ المعالم الرئيسة للديالكتيك، إلا أن هذا لا يعني أن ديالكتيك ماركس وإنجلز متطابق مع ديالكتيك هيجل. في الواقع لقد أخذ ماركس وإنجلز من الديالكتيك الهيجلي "نواته المعقولة" نابذين قشرته المثالية وطوروها أبعد من ذلك لكي يضفوا عليها شكلا علميا، يقول ماركس: "إن أسلوبي الديالكتيكي لا يختلف عن الديالكتيك الهيجلي وحسب، بل هو نقيضه المباشر.

المحاضرة الخامسة: منهج المادية التاريخية عند ماركس

على العكس من الميتافيزيقا، لا يعتبر الديالكتيك الطبيعة تراكما عرضيا من الأشياء، أو الظواهر، لا ترتبط إحداها بالأخرى، أو منعزلة ومستقلة إحداها عن الأخرى، بل يعتبرها كيان كلي مرتبطا ارتباطا لا ينفصم تكون فيه الأشياء والظواهر مرتبطة ارتباطا عضويا وتعتمد إحداها على الأخرى وتقرر إحداها الأخرى. وعليه، فإن الأسلوب الديالكتيكي يرى أنه لا يمكن فهم أي ظاهرة طبيعية إذا أخذت بذاتها، منعزلة عن الظواهر المحيطة بها.

-2على العكس من الميتافيزيقا، يعد الديالكتيك أن الطبيعة ليست في حالة سكون وعدم حركة وجمود وعدم تغير، بل في حالة حركة دائمة وتغير مستمر، حالة تجدد وتطور مستمرين، حيث ينشأ شيء ما جديد ومتطور على الدوام وشيء متفسخ وزائل على الدوام. وعليه فإن الأسلوب الديالكتيكي يتطلب دراسة الظواهر ليس فقط من وجهة نظر علاقاتها المتبادلة واعتماد بعضها على البعض، بل كذلك من وجهة نظر حركتها وتغيرها وتطورها.

-3على العكس من الميتافيزيقيا، لا يعتبر الديالكتيك عملية التطور أنها عملية نمو بسيطة، حيث لا تتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية، بل على أنها تطور يجتاز من تحولات كمية صغيرة غير محسوسة إلى تحولات أساسية مكشوفة، إلى تحولات كيفية، يعتبرها تطورا لا تحدث التغيرات الكيفية فيه بصورة تدريجية، بل بصورة سريعة ومفاجئة، تتخذ شكل طفرة من حالة إلى حالة أخرى، لا تحدث بصورة عرضية بل نتيجة طبيعية لتراكم تغيرات كمية غير محسوسة وتدريجية.

-4على العكس من الميتافيزيقيا يعتبر الديالكتيكية أن التناقضات الداخلية ملازمة في جميع الأشياء والظواهر في الطبيعة، لأنها جميعا تحتوي على جانبيها السلبي والإيجابي، جانبيها الماضي والمستقبل،

وان الصراع بين هذين النقيضين، الصراع بين القديم والجديد، بين ما هو زائل وما هو مولود، بين ما يجري اختفاؤه وما يجري تطوره، يشكل المحتوى الداخلي لعملية التطور، المحتوى الداخلي لتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية. وعليه، فإن الأسلوب الديالكتيكي يرى أن عملية التطور من الأدنى إلى الأعلى لا يحدث بصورة كشف منسجم للظواهر، بل بصورة كشف عن التناقضات الملازمة في الاشياء والظواهر.

يتخذ الجدل الماركسي شكلا إجرائيا يلقي أضواءه على الوقائع الاجتماعية والطبيعية على حد سواء للكشف عن حقيقتهما في سيرورتهما وسيولتهما الطبيعيتين؛ فالجدل الماركسي: مرتبط بالممارسة الاجتماعية التي تُبدد التقابل المزعوم بين الاتجاهين المادي والروحي. ويقوم الجدل الماركسي على ثلاثة قوانين أساسية هي: قانون تداخل الأضداد- قانون التغيّرات الكمية إلى تغيّرات الكيفية، ومن الكيف إلى الكم وقانون نفي النفي. إن الصيرورة التاريخية، من المنظور الماركسي، معينة في حركة البُنى والظواهر الطبيعية والاجتماعية الارتقائية، والتي بواسطتها، تتطلع إلى النمو والتقدم، فتنتقل من وضعيات نوعية إلى وضعيات نوعية أخرى أكثر حدّة ودقة والتالي تغدو الصيرورة التاريخية ثمرة تقاطع صورتي التضاد الداخلي والخارجي، والتي هي بمثابة الجوهر المؤسس لقانون وحدة وصراع الأضداد